رحلة ابن بطوطة (١)

وما تنطوي عليه من نبات وشجر

محمود مصطفى الدمياطي

— ١ —

— ذكر ابن بطوطة في كتابه المشهور بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار بعض نباتات وصفها كما شاهدها في البلدان التي زارها في رحلته الطويلة وعلى أن أغلب أسمائها غير معروف عند الكثير منا ويتعذر فهمه لهذا عُنيت بالتعليق على بعض ما أورده رحالة القرن الثامن الهجري من قبيل الاشادة بذكراه في العصر الحاضر خدمة للعلم مراعياً تحرير أسماء تلك النباتات وما يقابلها في بعض اللغات الأجنبية وذكر أوصافها وخواصها بما يتفق وكتب النبات الحديثة وسأتبع ذلك في مقالات سأنشرها تباعاً . فقد قال عن أشجار بلاد الهند وفواكهها ما نصه : —

١ — « منها النَّنْسُبة (٢) وهي شجرة تشبه أشجار التاريخ إلا أنها أعظم اجراماً وأكثر أوراقاً وظلها أكثر الظلال غير أنه ثقيل فمن نام تحته وعلك ثمرها على قدر الاخلاص تكبر فاذا كان أخضر قبل نضجه أخذوا ما سقط منه وجعلوا عليه ملح وصبروه كما يصبر الليم (٣) ويجعلون بالادم وكذلك يصيرون أيضاً الزنجبيل الأخضر وشاهدت الفلفل وهو أخضر يؤكل مع الطعام يأخذون مأثر كل لقمة يسيراً من هذه المطرحات فاذا نضجت الثمرة في أوان اخرجت الشجرة حبها فأكلوها كالتفاح فمنهم يقضمها بالسكين ومنهم يعصرها مصاً وهي حلوة بالروح حامضة

---

(١) هو الامام المؤرخ الرحالة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي اللواتي الطنجي عاش من (٧٠٣ — ٧٧٩ هـ) (٢) أو التنبا معرب (Tanba) بالفارسية هي المعروفة في مصر بالنجد كما في الانجليزية والفرنسية Banka

(٣) هو المعروف عندنا بالليمون الحلو واسم شجره بالعلمية Citrus Medica var. limetta وبالانجليزية (sweet lime) وبالفرنسوية citron doux (cuonier doux)

بسير حوضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار كما تزرع نوى الخوخ وغيرها »

وأقول إن ما ذكره في بيانه صحيح لا غبار عليه واسم العنبة بالسان التابي (mangutier) وبالانجليزية (mango tree) وبالفرنسوية (Mangifera indica, L.) وفصيلتها البلاذرية (anacardinceae) وتصدق لي أن وصفتها في مفردات النبات التي نشرتها في مقالات بالمقتطف الأغر فليرجع اليها من يشاء . وقال : —

٢ — « ومنها الشكي[1] والبركي وهي اشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز وغيرها يخرج من أصل الشجرة فما اتصل منه بالأرض فهو البركي وحلاوته أشد وبعضه أطيب مما كان فوق ذلك فهو الشكي وثمره يشبه الفرع الكبار وجلوده تشبه جلود البقر فاذا أصفر في أوانه الخريف قطعوه وشدوه فيكون في داخل كل حبة اللبابة والقشر فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار بين كل حبة وحبة طاق أصفر اللون ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير واذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول اذا لم يوجد مثالب ويدخرون هذه النوى في التراب الأحمر تبقى الى سنة اخرى وهذا الشكي والبركي من خير وكد بلاد الهند »

وعندي ان هذا الوصف على دقته لا غبار عليه كما يتضح لك بأني : فالشجرة التي بالسان التابي (Mangifera indica, L.) وبالانجليزية (Mango tree) وبالفرنسوية (Manguier) وفصيلتها البلاذرية (Anacardiaceae) مسقط رأسها الهند وجزائر الهند الشرقية وتبلغ ثلاثين قدماً في الارتفاع وهي ذات عصيرة لبنية أي أن الزهرة الثمرة الواحدة منها اربع بويضات الى ست فما يوجد منها على الفروع المثمرة شكله بيضي مستدير تقريباً وحائله كمثلة وما يوجد على الفروع الغير مثمرة شكله بيضي مستطيل كمثلة مستدير أما أوراق الأفرخ الصغيرة فتواجهة مبايعة ذات فصين أو ثلاثة والثمرة توجد في عشرة بوصة أو يزيد وزنها ثلاثون رطلاً أو اربعون وتشبه ثمرة شجرة الجبر[2] لكنها أضخم وأخشن ولا يأكلها عادة الا أهالي الملابار والهندوس يتخذون منها طعامهم الرئيسي . وقد ذكره : —

---

(١) معرب (chakkle) بتقديم الكاف على اللام وهو الجبن الهندي لان ثمرتها يشبه الجبن في بيت التركيب وفي الطالب يؤكل مشوياً أو مطبوخاً كالخبز وتسمى بالسان البلي (Artocarpus incisa, L.) وبالانجليزية (bread fruit tree) وبالفرنسوية (l'arbre à pain)

٣ — ومنها التندو وهو ثمر شجر الأبنوس وحبانه في قدر حبات الخشخاش ولونها شديد الحلاوة ، وأقول إن تندو معرب (tindoo) بالهندية وسبق لي وصف شجر الأبنوس المذكور في مفردات النبات والاشارة الى أن ثماره تؤكل فليراجع . وقال : —

٤ — ومنها الجمون [1] وأشجاره عادية ويشبه ثمرة الزيتون وهو أسود اللون ونواه واحدة كالزيتون ، وأقول ان هذا الوصف صحيح لشجرته مستوطنة في الهند وجزائر الهند الشرقية تلتبس بقرب القرى لثمارها واسمها باللسان الباني (Eugenia Jambolana, Lam.) وبالانجليزية (black plum و jambolan و jaman و Java plum) وبالفرنسوية (arbre aux jambolones) وفصيلتها الآسية (Myrtacée) الورقة منها لحمية لامعة مستطيلة عريضة لا سيما سن ثمنها طولها بين بوصتين ونصف بوصة الى خمس بوصات وعرضها بين بوصة وثلاثة أرباع البوصة الى أربع بوصات . وثمرتها كالمليسة السوداء أو في حجم بيضة الحمام تؤكل على الرغم من حموضة مذاقها وعدم جودتها . وقال : —

٥ — ومنها التارنج الحلو وهو عندهم كثير وأما التارنج الحامض فعزيز الوجود وعصارته تشبه الليمون الحامض وثمره على قدر الليم وهو طيب جداً وكنت يعجبني أكله ، وأقول إن التارنج الحلو هو المعروف عندنا بالبرتقال واسم شجرته باللسان الباني (Citrus Aurantium, L.) وبالانجليزية (orange tree) وبالفرنسوية (oranger) واسم شجر التارنج الحامض باللسان الباني (Citrus Aurantium var. amara) وبالانجليزية (bitter orange و Seville orange) وبالفرنسوية (bigaradier) وأما الصنف الثالث الذي ذكر اسمه ويكون بين الحلو والحامض فالراجح انه المعروف عندنا بالنجون الهندي واسم شجرته باللسان الباني (Citrus Decumana, Murr.) وبالانجليزية (pumpelmoose) [2] وبالفرنسوية (pamplemousse) [3] . وقال : —

٦ — ومنها التمر [4] وأشجاره عادية وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة

---

(١) أو الجون (jamun) اسمه بالهندية (٢) باسم الضابط الذي أدخله في جزائر الهند الغربية
(٣) أيضاً من اسمه (poompelmoos) بجزائر الملايو (٤) معرب (Mahua) بالهندية

وصفرة وثمره مثل الاجاص الصغير شديد الحلاوة وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها كطعم العنب الا أن الاكثار من أكلها يحدث في الرأس صداعاً ومن العجب ان هذه الحبوب اذا يبست في الشمس كان مطعمها كطعم التين وكنت آكلها عوضاً من التين اذ لا يوجد ببلاد الهند وهم يسمون هذه الحبة الأنكور وتشبيره بلسانهم العنب والعنب بأرض الهند عزيز جداً ولا يكون بها الا في مواضع مخصوصة دهلي وبلاد أخر ويثمر مرتين في السنة ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به » وأقول إن ما ذكره صحيح وقابلوا تسمى باللسان الثاني (Bassia latifolia Roxb.) وبالانجليزية (Illuppai) وبعربية (bassie à larges feuilles) وفيلبنا الصابوتية (Sapotaceae) وهي شجرة كبيرة يبلغ ارتفاعها اربعين قدماً توجد في غابات غرب بلاد البنغال بالهند الوسطى وتعرف من أجل أزهارها وبذورها وتكثر في المقاطعات الشمالية الغربية لكثرة فوائدها فزهراتها تجفف وتستعمل للطبقات الفقيرة وعلى الأخص القبائل المتوحشة القاطنة في غابات الهند الوسطى وهي حلوة المذاق وبسبب رائحتها القوية جداً لا يقبل عليها الا من كان متعوداً على أكلها وقد يحصل من الشجرة الممتازة على عشرين قنطاراً من الزهر أو يزيد وثمره يصنع مربى يتخذه كثير من الهنود ويقال إنه اذا استقطر بعناية كان مذاقه شبيهاً بالويسكي الايرلندي الجيد ويحصل من اعتصار البذور على زيت منجمد معطر أو مخضر يشبه الزبد يستصبح به ويصنع منه صابون ويستعمل من الظاهر مليناً أو محللاً . وقال : —

٧ — « ومن فواكههم فاكهة يسمونها كثيراً يحفرون عليها الارض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل » وأقول ان نباتها يسمى باللسان الثاني (Sterculia urens Roxb.) وبسلته العلمية (Sterculiaceae) وهو حشيش ينبت في الهند على شواطئ مستنقعات وانهار ويدخل في بلاد تسمى تنع وهي غيضة من تلقائها التي تنشأ منها الأودان وارتفاعه كبير مركب وجذره ليفي قد يضخم في بعض اجزائه فيكون درنات الواحدة منها في حجم جوزة الطيب سوداء البشرة وهذه الدرنات قابضة تنفع الاسهال والقيء وفي فصل البرد تستخرجها عامة الهنود بكميات كبيرة وتقطعها شرائح وتأكلها نيئة لمذاقها الحلو وتشويها وتعتبرها مقوية جداً ومرطبة